طائفة الحشاشين ١٠٩٠م أسباب وعوامل

م.م مناف نعمه طاهر

المديرية العامة للتربية في محافظة ذي قار

manoofy9@gmail.com

الملخص

إنَّ ظهور جماعة الحشاشين هي نتيجة التفاعل المعقد من العوامل الدينية والسياسية والاجتماعية في القرن الحادي عشر الميلادي. استطاعت هذه الجماعة أن تترك أثرًا كبيرًا على التاريخ الإسلامي، سواء من خلال أساليبها الفريدة أو من خلال تأثيرها على التوازنات السياسية في المنطقة.

حيث كان الحشاشين من اولوياتهم السيطرة والتوسع بعد ان حكمهم حسن الصباح ووسع نفوذه ونشؤء حركة الاسماعيليين وتمسكهم بعقيدتهم الاسماعيلية جعلوا منها دين مستميت بعد ما اوهم الناس حسن الصباح بوجود جنة وحور عين والتي بناها في قلعته بعد ماكان يقوم تخدير الناس والاغماء عليهم يوقضهم في هذا المكان ليروا في الانهار والفواكة والاشجار واوهمم بنها الجنة هكذا سيطر على عقولهم الى ان ضعف دورهم حتى جاءهم المغول وبطشوا بيهم بعد مقاوتهم لهم

الكلمات المفتاحية: (الحشاشين، حسن الصباح، قلعة الموت).

Assassin sect 1090 AD Causes and factors

Manaf Nieamuh Tahir

General Directorate of Education in Dhi Qar Governorate

manoofy9@gmail.com

Abstract

The emergence of the Assassins was the result of a complex interplay of religious, political, and social factors in the eleventh century AD. This group was able to leave a significant impact on Islamic history, both through its unique methods and through its influence on the political balances in the region. The Assassins' priorities were control and expansion after Hassan al-Sabbah ruled them and expanded his influence. The

rise of the Ismaili movement and their adherence to their Ismaili faith transformed it into a fiercely loyal religion. Hassan al-Sabbah deluded people into believing in the existence of paradise and houris, which he built in his castle. He would drug people and make them faint, waking them up in this place to see rivers, fruits, and trees. He made them believe it was paradise. Thus, he controlled their minds until their influence weakened until the Mongols arrived and crushed them after their resistance.

Keywords: (Assassins, Hassan al-Sabbah, Castle of Death).

المقدمة

تعتبر دولة الحشاشين واحدة من ابرز الظواهر التاريخية في الشرق الاوسط وقد حظيت باهتمام كبير من الباحثين والمؤرخين امتدت دولة الحشاشين لقرون عدة وتميزت بتنظيمها الدقيق وعقائدها الغامضة الا انها في النهاية سقطت. يهدف هذا البحث الى تحليل أسباب وعوامل سقوط هذه الدولة القوية والغامضة.

ُعد حركة الحشاشين واحدة من أكثر الحركات إثارة للجدل والاهتمام في التاريخ الإسلامي، فقد ظهرت كقوة سرية مؤثرة خلال العصور الوسطى، وتركت أثرًا كبيرًا على الأحداث السياسية والدينية في تلك الفترة. نشأت هذه الحركة في ظل ظروف مضطربة شهدها العالم الإسلامي، حيث كانت الصراعات بين الإمبراطوريات الكبرى مثل السلاجقة والفاطميين في أوجها، مما أدى إلى فراغ سياسي واجتماعي استغلته جماعات مثل الحشاشين لتحقيق أهدافها.

يهدف هذا البحث إلى تسليط الضوء على الأسباب والعوامل التي أدت إلى ظهور الحشاشين، وتتبع تطورهم كقوة مؤثرة في المنطقة. سنتناول في هذا السياق العوامل السياسية التي ساعدت على بروزهم، مثل ضعف السلطة المركزية وتفكك الإمبراطوريات، بالإضافة إلى العوامل الاجتماعية والدينية التي

شكلت هويتهم، مثل الاعتماد على تفسيرات خاصة للإسلام واستخدام التكتيكات السرية لتحقيق أهدافهم.

من هم الحشاشين

مؤسس طائفة الحشاشين حسن الصباح (الحسن بن علي بن محمد الحميري) ولد في ١٠٣٧م وتوفي ١١٢٤م (ولد وتوفي في ايران) وكان شيعيا اثنا عشرياً وبعدها تحول الى المذهب الإسماعيلي في سن السابعة عشر كان يلقب بالسيد او شيخ الجبل وهو مؤسس مايعرف بالدعوة الجديدة او الطائفة الإسماعيلية النزارية المشرقة او الباطنية او الحشاشون حسب التسمية الاوربية[١]

والحشاشين طائفة اسماعيلية (نزاريه) وهذه الطائفة انفصلت من الفاطميين في أواخر القرن الخامس الهجري / الحادي عشر ميلادي لتدعو الى امامة نزار بن المستنصربالله ومن جاء من نسلها أسسها الحسن ابن الصباح، واتخذ من قلعة الموت في بلاد فارس مركزاً لنشر دعوته وترسيخ اركان دولته[٢] وتمكنت هذه الجماعة من السيطرة على المناطق المنتشرة مابين بلاد فارس وبلاد الشام ، واتخذت من القلاع الحصينة في قمم الجبال معقلاً لنشر الدعوة الإسماعيلية النزارية في بلاد فارس والشام ، والدولة اتسمت بالطابع الإسماعيلي [٣]، وشكلت هذه الجماعة مصدر تهديد لكثير من الدول المحيطة في الجغرافية الإسلامية[٤].

المبحث الأول

الأسباب الدينية والعقائدية

١.العقيدة الإسماعيلية

حركة مستقلة، بدأ النزاع الذ ي وقع خلافة الامام الصادق، الذي توفي ٧٦٥/١٤٨.وطبقاً لغالبية المصادر المتوفرة، فأن جعفراً الصادق قد نص على ولده الثاني إسماعيل (جد الإسماعيلية) لخلافته بموجب احكام النص.(٥) ويمثلون الاسماعيليون فرقه هامه من الإسلام الشيعي، وهم ، مثل بقية الجماعات الشيعية، يتتبعون تطور اطوار تاريخهم الى زمن النبي محمد. وتكمن أصول الشيعية والسنية ،فرعا الإسلام الرئيسيين الاثنين ،في ازمة الخلافة في الجماعة الإسلامية الوليدة في اعقاب وفاة النبي في المدينة في ٨ حزيران ٦٣٢م.وطبقاً للرسالة الإسلامية ،فأن محمد كان خاتم النبيين، ولذلك لم يكن بالإمكان ان يخلفه أي نبي اخر.(٦) واستعت الامامية بقدر كبير وأصبحت جماعة دينية هامة في ظل محمد الباقر وخليفته ،جعفر الصادق ،الذي كان اسبق من سبق من المتبحرين والمعلمين من بين الائمة من عقب الحسين. وفي وقت مبكر من امامة الصادق الطويلة والمليئة بالأحداث التي دامت زهاء ٣٠ عاماً او مايزيد ، تكشفت حركة عمه زيد بن علي. وكان الكوفيون قد اقتنعوا زيداً أيضا بأن يتولى قيادتهم في ثورة ضد الامويين . غير ان ثورة زيد التي انطلقت في الكوفة سنة ٧٤٠، باءت بالفشل عندما كشف الكوفيون مرة أخرى عن تخاذلهم .الا ان حركة زيد أدت ، على كل حال ،الى تشكيل فرقة شيعية رئيسية أخرى هي الزيدية التي لم تعترف ،خلافاً للأمامية ، بخط وراثي من الائمة، وتمسك الزيديون بوضعية الاعتدال الديني والجهاد السياسي للشيعة الكوفيين الأوائل. وكانوا محافظين في دفاعهم ،عن مكانة ائمتهم الدينية الى كان من الممكن ان يكونوا من أي احفاد الحسن والحسين ،كما امتنعوا من ادانة الخلفاء الأوائل الذين سبقوا عليا وبقية الجماعة الإسلامية بسبب تقصيرهم في الاعتراف بالحقوق الشرعية لعلي وسلالته .(٧) في عهد عمر الخيام، حادث الطائفة الباطنية التي سميت بالحشاشين وكان مؤسسها وواضعها زميل الخيام وشريكه في طلب العلم الحسن بن الصباح، ولم يكن الحسن هو المؤسس الأول

لهذه الطائفة الجهنمية، وإنما بعثها من مرقدها وجدد دعوتها وأشعل نارها بعد أن خمدت مدة قرنين، وكان في بادئ أمرها تسمى الإسماعيلية ثم سميت بالقرامطة.

والحسن بن الصباح، الذي ولد حوالي سنة ٤٣٠ هـ، كان قد تلقي علومه على الإمام موفق النيسابوري الإيراني مع عمر الخيام ونظام الملك الوزير في مدينة نيسابور بإيران، وكان يدعي أنه ينتمي إلى"يوسف الحميري" أحد أمراء اليمن، وكان يقول أن والده جاء من الكوفة إلى قم ومنها إلى الري، إلا أن أهالي طوس لم يصدقوه وكانوا يدعون أن والده اسمه "علي" هو من إحدى قرى خراسان الإيرانية، ولعل الصباح جده أو لقب أبيه.

وقصد الحسن بن الصباح الوزير نظام الملك وذكره بالعهد الذي تعاهدوا على إنفاذه يوم كان هو وعمر الخيام ونظام الملك يتعلمون في نيسابور الإيرانية، فرحب به نظام الملك وقدمه إلى السلطان ملكشاه وعينه كبير الحجاب، إلا أن الحسن العالي الهمة الكبير النفس الطموح لم يرض بهذا المنصب، فقد سولت له الجشعة الإيقاع بمن أنعم عليه وأكرمه فأخذ يتحين الفرص للفتك بالوزير للحصول على منصبه الخطير، واتفق أن ملكشاه طلب يوماً إلى نظام الملك أن يقدم له الموازنة فاستعذره نظام الملك، وطلب إليه أن يمهله سنة واحدة، فلما بلغ ذلك حسن الصباح قابل الملك ووعده بأنه سوف يقدم له الموازنة بعد أربعين يوماً وقد فعل ذلك وقام بما وعد به خلال الأجل المضروب، فأحس نظام الملك بالدسائس التي ينبرها الحسن، فعمد إلى الحيلة للتخلص منه، فأخفي أوراقاً سرية تعود إلى الدولة.

ولما طلع السلطان على الأوراق وجد فيها نقصاً فويخ حسناً ووجد ه، فاضطر حسن أن يترك البلاط وذهب إلى أصفهان واختفي تل يسمى أبا الفضل، وفي مدة بقائه عنده كانت تظهر عليه

عصبية وانفعالات نفسية، وقد قال ذات يوم لأبي الفضل لوكان لي صديقان صادقان صادقان لقضيت على حكومة هذا التركى وهذا القروي، يريد بالأول الملك وبالثاني وزيره نظام الملك.

٢.الدعوة السرية

في الوقت الذي كان فيه بعض دعاة الإسماعيلية يحصلون على مراكز قوة لهم في المناطق النائية ويدعمون أنفسهم فيها كان هناك آخرون يبشون دعايتهم الدينية في المراكز الرئيسية داخل العالم السني والسلجوقي، وهؤلاء هم الذين تسببوا في سفك أول الدماء بين العملاء الاسماعيليين والسلطات السلجوقية. وقد وقع الحادث الأول من هذا القبيل في مدينة صغيرة تسمى ساقا Sava في الهضبة الشمالية على مسافة ليست بالبعيدة من الري وقم وربما يكون هذا الحادث قد وقع قبل الاستيلاء على قلعة «الموت» والذي حدث أن مجموعة من ثمانية، عشر إسماعيلياً اعتقلوا بأمر أمر الشرطة لاشتراكهم معا في صلوات خاصة، وكان هذا هو لقاءهم الأول وقد سمح لهم بالانصراف بعد استجوابهم، ولكنهم حاولوا تجنيد مؤذن من ساقا كان يعيش في أصفهان، ولما رفض الرجل الاستجابة لندائهم خشوا أن يشى بهم للسلطات فقتلوه. ويقول المؤرخ العربي ابن الأثير إنه كان أول ضحية لهم وكانت دماؤه أول دماء سفكوها، وقد بلغت أنباء هذا الاغتيال إلى الوزير نظام الملك الذي أعطى أوامره الشخصية بإعدام زعيم الجماعة وهو نجار يدعى طاهر، وكان ابن واعظ تقلد عدة مناصب دينية ثم قتله بعض الرعاع في كرمان بشبهة انه إسماعيلي، وقد أعدم طاهر وجعل عبرة وأمثولة وسحلت جثته في ساحة السوق، يقول ابن الأثير إنه كان أول إسماعيلي يعدم.

في عام ١٠٩٢ قام السلاجقة بأولى محاولاتهم لمواجهة الخطر الإسماعيلي بالقوة العسكرية، فأرسل السلطان ملكشاه – السيد الأعلى الجميع الأمراء والحكام السلاجقة – حملتين عسكريتين إحداهما ضد ألموت» والأخرى ضد كوهستان، ولكن الحملتين أمكن صدهما، وقد صدت الحملة الأولى بمساعدة مؤيدي الإسماعيلية والمتعاطفين معهم من سكان رودبار و قزوين، ويورد المؤرخ الجويني وصفاً إسماعيلياً لهذا الانتصار فيقول: «إن السلطان ملكشاه بعث في بداية عام ٤٨٥ (١٠٩٢م) أميراً يدعى أرسلان تاش ليطرد حسن الصباح وأتباعه ويستأصل شأفتهم، ونزل هذا

الأمير بعسكره أمام ألموت في غرة جمادي من نفس السنة (يونيو – يوليو (١٠٩٢) في ذلك الوقت لم يكن حسن الصباح لديه في الموت أكثر من ستين أو سبعين رجلاً، وكانت لديهم مؤن قليلة وقد عاشوا على القليل الذي لديهم والذي لا يكاد يكفيهم [٨].

الأسباب السياسية

١-صراعهم مع السلاجقه

كان حسن الصباح داعياً إسماعيلياً باسم الفاطميين داخل أرض السلاجقة في فارس. وفي عام ١٠٩٤/٤٨٧ ظهر كقائد للإسماعيليين الفرس وبسياسة استقلالية، إذ شكل استيلاؤه على قلعة الموت الجبلية سنة ١٠٩٠/١٨٣ مؤشراً لانطلاق ثورة الإسماعيليين الفرس العلنية ضد الأتراك السلاجقة وتأسيس ما سيصبح دولة إسماعيلية نزارية في فارس وسورية. وبصفته شيعياً إسماعيلياً، لم يكن في مقدوره التساهل مع السياسات المناونة للشيعية التي سار عليها السلاجقة، أبطال الإسلام السني أنذاك. كما عبرت ثورته عن مشاعر "قومية فارسية، لأن المجتمع الفارسي كان يكره حكم الأتراك السلاجقة الغريب ولعل ذلك يعتبر إقدامه على استبدال الفارسية بالعربية واستخدامها لغة دينية للإسماعيليين الفرس. وفي مثل تلك الظروف وقف حسن الصباح إلى جانب قضية نزار في النزاع على خلافة المستنصر، ثم قطع علاقاته مع المؤسسة الفاطمية ومقر قيادة الدعوة في القاهرة بسبب تأييدهما للمستعلى، وبهذا يكون قد أسس دعوة إسماعيلية نزارية مستقلة باسم إمام نزاري. ولهذا أيضاً صمدت الدعوة النزارية، كالدعوة الطيبية، وبقيت عقب سقوط السلالة الفاطمية الحاكمة.

لم يكشف حسن الصباح عن اسم الوريث النزاري للإمامة، لكن نقوداً أثرية تبين أن اسم نزار كان يُضرب على نقود سكت في الموت لما يقرب من سبعين سنة عقب وفاته سنة ١٠٩٥/٤٨٨، وكان يجري التسليم على ذريته من غير تحديد. وهكذا يكون الإسماعيليون النزاريون الأوائل قد شهدوا دور ستر آخر من غير إمام يتصلون به. وكما في فترة الستر ما قبل الفاطمية، كان ثمة حجة يمثل الإمام الغائب عند الجماعة. وقد جرى الإقرار بحسن الصباح (ت. ١١٢٤/٥١٨) وخليفتيه التاليين في الموت كيا بزورك اوميد (ح) ٥١٨ ١١٢٤/٥٣٢ (١١٣٨)

ومحمد بن بزورك أوميد (ح. ٥٣٢ - ١١٣٨/٠٥٥٧ ١١٦٢)، حججاً بالإضافة إلى رئاسة الدولة والدعوة، وكان النزاريون الأوائل أيضاً نشطاء في المجال العقائدي. فقد قام حسن نفسه بإحياء عقيدة التعليم الشيعية القديمة، أو ما يسمى بالتعليم الموثوق الصادر عن إمام الزمان وأصبحت هذه العقيدة، التي تؤكد سلطة التعليم الخاصة بكل إمام في زمانه عقيدة مركزية للنزاريين. وبما أنها أصبحت عقيدة مركزية للنزاريين فقد صاروا يُعرفون، منذ ذلك الوقت، باسم التعليمية. ثم إن هذا التحدي الفكري الذي فرضته عقيدة التعليم على المؤسسة السنية، بالإضافة إلى نقض شرعية الخليفة العباسي كناطق روحي باسم جميع المسلمين، استدعى رد فعل من جانب المؤسسة السنية، فأقدم العديد من علماء الدين المسلمين السنة، بقيادة أبي حامد الغزالي (ت. (١١١١/٥٠٥)، على مهاجمة عقيدة التعليم الإسماعيلية. استولى الإسماعيليون النزاريون الأوائل على الكثير من الحصون في الديلمان، التي شكلت مركز قوتهم في جبال البورز في شمال فارس، أي المنطقة التي عرفت في العصر الوسيط باسم الديلم. ثم سرعان ما سيطروا على شبكة من القلاع والبلدات المتنوعة في قوهستان (أو) كوهستان بالفارسية في جنوب شرق خراسان التي كانت ثاني أكبر الأراضي وأهمها في الدولة النزارية في فارس. وفي العقد الأول من القرن السادس الثاني عشر ومع حسن الصباح نشاطاته ومدها إلى سورية عبر إرساله الدعاة الفرس من الموت إلى هناك. غير أن الأمر استغرق عقوداً عديدة قبل أن ينجح النزاريون بطرق مختلفة في الاستيلاء على شبكة من القلاع في جبل البهراء (جبال النصيرية حالياً)، وهو منطقة جبلية تقع وسط سورية بين حماة وساحل البحر الأبيض المتوسط وضقت هذه القلاع الكهف والقدموس ومصياف التي كثيراً ما كانت مقرات لإقامة داعي دعاة النزاريين السوريين.

واجه النزاريون في سورية عداء مختلف الحكام المحليين السنة إضافة إلى عداء الصليبيين الذين كانوا ينشطون في الأراضي المجاورة لما كان يسمى إمارتي أنطاكية وطرابلس الإفرنجيتين. لكن ثورة النزاريين ضد السلاجقة فقدت زخمها في أواخر حياة حسن الصباح، مثلما حصل للسلاجقة بقيادة بركياروق (ت. ١١٠٥/٤٩٨) ومحمد تبر (ت. (١١١٨/٥١١) عندما فشلت حملاتهم العسكرية الكثيرة في اقتلاع النزاريين الفرس من حصونهم. فدخلت العلاقات السلجوقية –

الإسماعيلية في تلك الفترة طوراً جديداً من "الجمود التام". غير أن النزاريين أنفسهم حافظوا على وحدتهم وتماسكهم مع شعور عالي رائع بالمهمة التي يؤدونها. وبما أنهم كانوا منشغلين بالصراع للبقاء في بيئة بالغة العداء، فقد أفرزوا شخصيات من القادة العسكريين لا من العلماء اللاهوتيين، فكانت النتيجة أن أصبحت الأنشطة الأدبية للنزاريين محدودة جداً. ومع ذلك، تمسك النزاريون من فترة الموت بفكر وتقليد أدبي متطور، وعالجوا تعاليمهم بالاستجابة للظروف المتغيرة، وزودوا الموت والقلاع الرئيسية الأخرى في فارس وسورية بمجموعات هامة من المخطوطات والوثائق والأدوات العلمية.(٩)

حقق النزاريون في منطقة أصفهان، العاصمة الرئيسية للسلاجقة، نجاحات كبيرة بقيادة أحمد، ابن عبد الملك العالم وداعي دعاة الإسماعيليين في الأراضي السلجوقية. ومن خلال تبنيه مهنة تعليم أبناء الحامية العسكرية السلجوقية في شاه در غطاء له تمكن من تحويل حامية تلك القلعة التاريخية الهامة بالتدريج إلى مذهبه، ثم السيطرة عليها عام ١١٠٠/٤٩٤. بعد ذلك سارع أحمد إلى جمع الضرائب من المناطق المحيطة بشاه دز، وما لبث ومن معه من النزاريين أن سيطروا على قلعة ثانية، هي خانلجان إلى الجنوب من أصفهان. وعلى الرغم من الهجمات السلجوقية المكثفة، إلا أنه نجح في الدفاع عن هاتين القلعتين والثبات فيهما. لكن السلطان السلجوقي محمد تبر تولى شخصياً قيادة قوات ضخمة عام ١١٠٧/٥٠٠ ضد شاه دز، فدخل أحمد في سلسلة طويلة من المفاوضات مع السلاجقة ثبت بالنتيجة أنها كانت عقيمة. وبعد عقد اتفاقية سلام بين الطرفين نكث أحمد ومعه ثلة من أتباعه المتحمسين بوعده بتسليم القلعة وأفضى هجوم السلاجقة النهائي عن مقتل معظم النزاريين المدافعين عن شاه بز، وألقي القبض على أحمد الذي .. عدم في أصفهان.(١٠)

لخوارزمشاهيون، أو الخوارزمية أسرة مسلمة سنية تركية حاكمة ذات فروع مختلفة تنحدر من خوارزم، على نهر جيحون الأدنى في آسيا الوسطى. وكان هؤلاء الحكام بالوراثة الخوارزم نواباً للسلاجقة، وتبنوا لقب الملوك القديم (شاه) وسموا أنفسهم شاهات خوارزم وقام الخوارزمشاهيون

بتثبيت استقلالهم وتوسيع ممتلكاتهم الخاصة داخل فارس والعراق مستفيدين من انقسامات السلاجقة التي حدثت بعد وفاة السلطان منتجر (٥١١-١١٨) ١/٥٥٢-١١٥٧). وأنهى السلطان تكش (ح. - ١١٧٢/١٢٠٠٠٥٩٦) حكم السلاجقة عندما هزم طغرل الثالث سنة ١١٩٤/٥٩٠. غير أن هذه الأسرة سقطت واقتلعت عندما انهزم جلال الدين منغوبيرتي (ح. ٦١٧-٦٢٨/١٢٢٠-١٢٣١) آخر الخوارزمشاهات في المعركة أمام المغول. وبما أنهم كانوا خلفاء للسلاجقة في الحكم، فقد كانت للخوارزمشاهيين أيضاً مواجهات عسكرية دامت طويلاً مع الحكام الإسماعيليين النزاريين في فارس خورشاه انظر ركن الدين خورشاه خوزستان مقاطعة في الجنوب الغربي من إيران تقع بين جبال زاغروس والخليج الفارسي وبشكل أكثر تحديداً، يُحيط بخوزستان من الغرب الحدود العراقية الإيرانية، ومن الشمال مقاطعة لورستان، ومن الجنوب الخليج الفارسي، ومن الشرق نهر هندجان وكان العرب المسلمون قد أكملوا فتحهم لهذا الإقليم سنة ٦٤٠/١٩ . ويبدو أن محمد بن إسماعيل، الإمام السابع للإسماعيليين كان قد استقر في خوزستان في نهاية القرن الثاني الثامن، حيث كان له بعض الأتباع، ومن هناك بعث بالدعاة إلى المناطق المجاورة في جنوب العراق وفي أمكنة أخرى. ثم قام ولده وخليفته في الإمامة، عبد الله الأكبر، بتنظيم الدعوة الإسماعيلية وقيادتها بداية من خوزستان أيضاً. فقد عاش في عسكر مكرم قرب الأهواز. وكانت عسكر مكرم، التي تأسست في بداية القرن الثاني الثامن بلدة مزدهرة في العصور الوسطى، ولا تزال آثارها قائمة اليوم إلى الجنوب من بلدة شوشتر وتعرف باسم بندى قير. وثمة دعاة بارزون ميكرون كالحسين الأهوازي وعبدان، ينحدرون من خوزستان ثم خضعت خوزستان خلال القرون اللاحقة لحكم كل من البويهيين والسلاجقة والإيلخانيين. وفي فترة الموت من التاريخ النزاري نشط النزاريون لبعض الوقت في جبال زاغروس في المنطقة الحدودية بين مقاطعتى خوزستان وفارس واستولى النزاريون في تلك المنطقة على قلعتين على الأقل قرب بلدة أرجان واستخدموهما قاعدتين لعملياتهم العسكرية. وفي سنة ١٤٣٥/٨٣٩ أسس المشعشعة، وهم أسرة عربية محلية اعتنقت عقائد شيعية مغالية، حكماً مستقلاً لهم في حويزة في جنوب خوزستان دام سبعين عاماً، أي حتى دخول المنطقة تحت سيطرة الدولة الصفوية سنة ١٥١٤/٩٢٠وبعدها دخل المشعشعة في خدمة السلالات الفارسية المتنوعة بصفة ولاة أو حكام حتى ١٩٢٤. وكانت قبائل عربية متنوعة قد استقرت في غضون ذلك، في خوزستان،

وصاروا يطلقون على المقاطعة اسم عربستان وكان شيوخهم يحكمون على المنطقة بصورة عملية حتى قيام رضا شاه مؤسس أسرة بهلوي الحاكمة، بوضع حد لسيطرتهم سنة ١٩٢٥ وبدأت الأوضاع الاقتصادية للمقاطعة بالتحسن مع اكتشاف النفط فيها سنة ١٩٠٨. [١١]

شاه خليل الله (الثالث) (ت. (١٨١٧/١٢٣٢) هو الإمام الخامس والأربعون للإسماعيليين النزاريين. تولى خليل الله على المكنى أيضاً بشاه خليل الله، إمامة النزاريين من فرع قاسم شاه عقب وفاة والده أبي الحسن على سنة ١٧٩٢/١٢٠٩ وقام بعد ذلك بفترة قصيرة، بتحويل مقر مركز الإمامة من كرمان إلى كهك وفيها مكث ما يقرب من عشرين عاماً. وفي عام ١٨١٥/١٢٣٠ انتقل شاه خليل الله إلى يزد، الواقعة بين أصفهان وكرمان على الطريق إلى بلوشستان والسند كى يكون في موقع أقرب إلى أتباعه من الخوجة الذين كانوا يرتحلون من الهند لرؤية إمامهم. وفي يزد عاني الإمام النزاري من مكائد دبرها بعض رجال الدين المحليون من الاثني عشرية، وقتل سنة ١٨١٧/١٢٣٢ في مجريات نزاع نشب بين أتباعه وبعض أصحاب الدكاكين في المدينة. وتم نقل جثمان شاه خليل الله إلى النجف في العراق، حيث جرى تشييد ضريح ضخم لهذا الإمام ولبعض أقاربه أبو الحسن خان السردارة الآغا خان الأول، حسن على شاه در وهي قلعة جبلية من العصر الوسيط غرفت باسم يزكوه، في وسط فارس على قمة جبل صوفا، حوالي ثمانية كيلومترات إلى الجنوب من أصفهان. والأهمية التاريخية لشاه بز تتصل على نحو خاص بنشاطات الإسماعيليين النزاريين الأوائل فى فارس. وقد استولى النزاريون على هذه القلعة حوالي ١١٠٠/٤٩٤ عبر جهود الداعي أحمد بن عبد الملك. وفي عام ١١٠٧/٥٠٠ فقد النزاريون السيطرة على شاه در السلاجقة الذين سارعوا إلى هدم القلعة خشية استعادة النزاريين السيطرة.(١٢)

٢. الاستقلال السياسي

كان، في أيامه، المقدم عليهم، والقيم بأمرهم الحسن بن الصباح الرازي، صاحب قلعة الموت، وكانت أيامه قد طالت، وله منذ ملك قلعة الموت ما يقارب ستا وعشرين سنة، وكان المجاورون له في أقبح صورة من كثرة غزاته عليهم وقتله وأسر رجالهم ، وسبي نسائهم ، فسير إليه السلطان

العساكر ، على ما ذكرناه ، فعادت من غير بلوغ غرض . فلما أعضل داؤه ندب لقتاله الأمير أنوشتكين شيركير ، صاحب آبة ، وساوة ، وغيرهما ، فملك منهم عدة قلاع منها قلعة كلام ، ملكها في جمادى الأولى سنة خمس وخمسمائة ، وكان مقدمها يعرف بعلي بن موسى ، فأمنه ومن معه ، وسيرهم إلى ألموت ، وملك منهم أيضا قلعة بيرة ، وهي على سبعة فراسخ من قزوين ، وأمنهم ، وسيرهم إلى ألموت أيضا.

وسار إلى قلعة ألموت فيمن معه من العساكر ، وأمده السلطان بعدة من الأمراء ، فحصرهم ، وكان هو ، من بينهم ، صاحب القريحة والبصيرة في قتالهم ، مع جودة رأي وشجاعة ، فبنى عليها مساكن يسكنها هو ومن معه ، وعين لكل طائفة من الأمراء أشهرا يقيمونها، فكانوا ينيبون، ويحضرون ، وهو ملازم الحصار ، وكان السلطان ينقل إليه الميرة ، والذخائر، والرجال، فضاق الأمر على الباطنية ، وعدمت عندهم الأقوات وغيرها ، فلما اشتد عليهم الأمر نزلوا نساءهم وأبناءهم مستأمنين، وسألوا أن يفرج لهم ولرجالهم عن الطريق، ويؤمنوا ، فلم يجابوا إلى ذلك، وأعادهم إلى القلعة، قصدا ليموت الجميع جوعا.

وكان ابن الصباح يجري لكل رجل منهم ، في اليوم، رغيفا ، وثلاث جوزات ، فلما بلغ بهم الأمر إلى الحد الذي لا مزيد عليه ، بلغهم موت السلطان محمد ، فقويت نفوسهم ، وطابت قلوبهم ، ووصل الخبر إلى العسكر المحاصر لهم بعدهم بيوم ، وعزموا على الرحيل، فقال شيركير:

إن رحلنا عنهم وشاع الأمر، نزلوا إلينا، وأخذوا ما أعددنا من الأقوات والذخائر، والرأي أن نقيم على قلعتهم حتى نفتحها، وإن لم يكن المقام ، فلا بد من مقام ثلاثة أيام ، ينفذ منا ثقلنا وما أعددناه ونحرق ما نعجز عن حمله لئلا يأخذه العدو. (١٣)

إنَّ القلعة قامت على مسافة ستة فراسخ من قزوين، ولبثت ما يقرب من مائة وإحدى وسبعين سنة كواحدة من أقوى وأمنع الحصون الإسماعيلية [١٤]، وكانت الموت ضمن القلاع التي تقع في إقليم رودبار [١٥]، ويبدو أن ابن الصباح عمل كل جهده على امتلاكها[١٦]، فاستخدم كعادة الإسماعيليين في كل عصورهم عنصر الدعوة في بادئ الأمر للوصول إلى أهدافه، فجذب إليه عددا كبيرا من جلود تلك القلعة الذين اعتنقوا مذهبه فمهدوا له الطريق للاستيلاء عليها بكل سهولة، واختلفت الروايات حول طريقة استيلاء الحسن بن الصباح على قلعة الموت، فهناك رواية ابن خلدون والتي تقول أن ابن الصباح لما رأى القلعة أثارت انتباهه وصمم على أن يستولي عليها، فاختبر أهل تلك الناحية فأقام عندهم وطمع في إغرائهم، فدعاهم في السر وأظهر النزاهة فتبعه أكثرهم، وكان صاحب القلعة رجلاً من العلويين الذين جلسوا إليه وتبركوا به [١٧]، فلما أحكم الحسن أمره، دخل يوما على العلوي بالقلعة، فقال له ابن الصباح: اخرج من هذه القلعة، فتبسم العلوي، وظنه يمزح، فأمر ابن الصباحبعض أصحابه بإخراج العلوي، فأخرجوه إلى دامغان، وأعطاء ماله وملك القلعة[١٨].

٣- **التنظيم الداخلي:** فيما كان حسن الصباح ما زال يحكم بقلعة «الموت» وكانت كلماته وأسلحة مبعوثيه تحمل رسالته إلى سكان إيران وأمرائها، قامت ثلة صغيرة من أتباعه برحلة طويلة خطرة عبر أراضي العدو نحو الغرب. كانت سوريا هي وجهتهم، وكان عرضهم نقل الدعوة الجديدة» إلى الإسماعيليين القدامي في تلك البلاد، ومد الحرب ضد السلطة السلجوقية التي أصبحت مؤخراً تفرض ظلها على كل المنطقة من آسيا الصغرى إلى حدود مصر.

لقد ظهرت الدعوة الجديدة في إيران، وأحرز دعاتها أول نجاح كبير لهم في الأقاليم ذات الثقافة واللغة الإيرانيتين وبالتحديد في غرب فارس وشرقها وأجزاء من آسيا الوسطى، ولكنهم عندما فكروا في التوسع غرباً برزت سوريا كأوضح

اختيار أمامهم، فقد كانت أفضل بالنسبة لهم من العراق رغم أن الأخيرة تقع إلى الغرب من فارس مباشرة، حقا كان يوجد في المدن العراقية عدد من المتعاطفين مع الإسماعيلية ولكن طبيعة الوديان النهرية المسطحة لم تكن لتتيح سوى مجال ضئيل للاستراتيجية الإسماعيلية القائمة على التغلغل والتحصن والهجوم. أما سوريا فكانت شيئا آخر إذ تمتد فيما بين جبال طوروس شمالاً وصحراء سيناء جنوباً أرض شاسعة تتخللها الجبال والوديان والصحاري التي تؤوى سكانا يتباينون فيما بينهم تباينا شاسعاً ولديهم نزعة محلية قوية للاستقلال و خلاقا للمجتمعات النهرية المجاورة في العراق ومصر لم تعرف سوريا الوحدة السياسية إلا نادراً، كان نظامها السائد يقوم على التشذر الطائفي والإقليمي والصراع المتواصل والتغير، وبالرغم من أن السوريين كانوا يتحدثون العربية كلسان سائد إلا أنهم كانوا منقسمين إلى عديد من العقائد والفرق وبعضها ذات نزعة شيعية متطرفة والواقع أن أول داعية شيعي ظهر في سوريا كان في القرن الثامن الميلادي، ومع انتهاء القرن التاسع وابتداء القرن العاشر كان في استطاعة الأئمة الإسماعيليين المختبئين أن يعتمدوا على تأييد محلي كاف ليجعل من سوريا مركزاً المقرهم السرى ومسرحا لأول محاولة يبذلونها للوصول إلى السلطة وبعد إنشاء الخلافة الفاطمية في مصر وامتدادها إلى آسيا دخلت سوريا تحت حكم إسماعيلي متقطع في أواخر القرن العاشر وخلال القرن الحادي عشر وفتحت البلاد أمام دعاية الإسماعيليين وتعاليمهم.

وإلى جانب الإسماعيليين الصرحاء كانت هناك في سوريا طوائف أخرى شديدة القرب من الإسماعيليين في النظرية والمظهر مما جعل من تلك البلاد أرضا خصبة لدعاية المبعوثين من الموت، ومنها مثلاً طائفة الدروز في جبل لبنان والمناطق المجاورة وهي طائفة إسماعيلية منشقة انفصلت مؤخراً عن الفرقة الأم ولم تكن قد وصلت بعد إلى حالة التحجر الذاتي التي بلغتها في الأزمة

المتأخرة، ومنها طائفة العلويين، وهم في الأصل شيعة اثني عشرية ولكنهم أكثر تأثراً بالأفكار المتطرفة وكانوا يقيمون في المناطق الجبلية بشرقى وشمال شرقى اللاذقية وربما كانوا في ذلك الوقت يقيمون أيضا في طبرية ووادي الأردن.

وهكذا كان الزمان والمكان مناسبين للدعوة الإسماعيلية ومبشرين بالخير لها.
وفي الوقت نفسه كانت أولى فصائل التركمان قد دخلت سوريا في عام ١٠٦٤ ، فخلال سبعينيات القرن الحادي عشر غزا المرتزقة الأتراك ثم الجيوش السلجوقية النظامية البلاد وسرعان ما خضعت سوريا بأكملها فيما عدا الشريط الساحلي الذي بقى في أيدى الفاطميين الحكم السلاجقة، وكان أمير السلاجقة هو ططش Tush شقيق السلطان الأكبر ملكشاه.[١٩]

المبحث الثالث/ نهاية الحشاشين

١. الغزو المغولي

أظلت ظلال الملك فاتح العالم هولاكو هذه الديار ، ورفرفت عذبات أعلام النصر تلك الرباع ، متتبعاً السنة الإلهية ، أن وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا . فقد أرسل رسولاً إلى ركن الدين بشيراً ونذيراً ، تأميلا وتحذيراً عدة مرات، يظهر له المداراة والمجاملة ، ويحثه على الانقياد والطواعية ليحفظ له الزمان السعيد . غير أنه في كل جواب يعزف عن هدف الصدق ، ويهجر طرف الصواب ، يخالف باطن جوابه ظاهره ، ويرسل القول منتجاتها مع الفعل، فاستقر رأي الملك المنير، بعد أن استعرض ماهية الأشياء وأحكم العقل بالكيمياء ، على قلع قلاع ركن الدين المتعلقة على قرن الثور ، والبالغة في ارتفاعها الجوزاء ، وسيتبعها حتى زحل برجال أقوياء يجوبون،لكواكب . إن قورنت الشمس بهم بدت" كقمر الظلماء . وإن قوبل المريخ بنيالهم صغر أقل من الزهرة والمشتري . وهم إن استندوا إلى جبل هدوه ، وأزالوا جلالته حتى الحضيض ، وأنزلوا منزله الموروث من عزته . أعني أنهم جعلوا سعادة القلعة

وبالا . فقد أمر الأمراء والنبلاء في منتصف شهر شوال سنة أربع وخمسين وستمئة بأن يحيطوا بالقلاع وبأن يلتفوا حولها كالحزام ، فندت كزنبور محاط من كل أطرافه ، ولا يتحركوا من مكانهم . وأرسل سنجاق نوين و تمغا بجيش تركي يقظ، مسلحين بسيوف مسقية حادة، على سبيل الطليعة . وسار خلفهم الملك المبارك القدم والرأي ، ملك الملوك المؤيد بتأييد من الله ، يتبعه جيش منظم ، لا يشبه بيأجوج وماجوج عدداً ، قد شحن طرفا الجيش بالمحاربين الأشبال ، الذين إذا رموا نبالهم في حلكة الليل جعلوا السماك طعاماً للأسماك ،وجعل رماة النبال يرمون بنبالهم العنيفة من أقواسهم فتصيب عطارد ، وتعود النبال بينات نعش . وبدت قوة الرجال المحاربين ، وهم يلعقون مر الحياة وحلوها، وغدا يوم الحرب كليلة الزفاف ، وشبهوا ظبا السيوف بخدود،المداري بضاضة ، وعدوا جراح الرماح لثم الملاح ، وانطلق الزحف من طريق طالقان كانسيل في انحداره ، ولهيب النار في صعوده ، مسرعين سرعة الرياح، وحوافر خيلهم قذى في عين الزمان.

وفي أثناء تحرك الجيوش قفز كبش جبلي أمامهم فرماه الفتيان بنبالهم فوراً ، فعد الملك ذلك فالا حسناً وقال : سيكون هذا الكبش النطاح في التنور بلا ذبح كما سيكون دين الحسن الصباح بلا أعوان.

وحطت مواكب ملك العالم رحالها عند ناحية طالقان في ذلك اليوم ، فامر أن تحاصر قلاع تلك الناحية مثل آلته نشين والمنصورية ، وعدد آخر من القلاع بجيوش كرمان ويزد ، وقواهم بجيش مغولي . وفي اليوم الثاني ، وحين أنارت الشمس خيط الأفق أمر أن تقرع طبول الرحيل ، وامتدوا من هناك على طريق هزار جسم وكأنهم سوالف العشاق ، انحناء تلو انحناء ، بل كانهم صراط القيامة الدقيق ، وطريق جهنم المظلم ، حيث لا يمكن للأقدام أن تتقدم ، ويصعب أن تعقل الوعول عليها فكيف يسهل ذلك على الناس ، إذ ليس الخطو

عليها سهلا ، ولا ينجم عن تخطي الحزن إلا الحزن . وأمر الملك باجتياز الصعاب ، وقد اختار لهم العناء ، فتحوا قمة الجبل مقابل القلعة ، وسارت الجيوش من اليمين عن طريق استداربرئاسة بوقا تيمور وكوكا إيلكاي ، بطرق عالية ملتوية مع القمم الغزيرة الشعاب . ومن اليسار نحو سارت أعداد كثيرة يرأسها من أبناء الملوك : بلغاي وتوتار ، ومن ورائهم كيد بوقا نوين مع مجموعة قوية كالحديد . وتوافدت الأفواج تباعاً حتى ملؤوا الجبال والأودية ، وكانهم أمواج البحر ، قد كسروا الصخور من وطأة الجمال والخيول ، واقتربت رقابهم من فعالهم . وقد صمت الآذان بهزيز هدير الجمال وتفخ الأبواب ودر داب الطبول، وعميت أعين المخالفين من سهيل الخيول وبريق الأسنة[٢٠]

وسارت الجيوش كثيرة العدد في يوم واحد ، وأحاطت بالقلعة المذكورة مدينة الإلحاد والفجور. كانت تلك القلعة في أثناء الاستيلاء عليها، فقد طلب أبوه علاء الدين من طائفته بعد أن استشار أركانه وأعوانه أن يبينوا له فحصوا تلك القسم والتلال اثنتي عشرة سنة ، حتى بلغوا ذلك الجبل الشاهق الداني من العيون فاختاروه . وكان على قمته نبع ماء واسع ، وينابيع أخر على أطراف الجبل . فبدؤوا أولا ببناء قلعة « ميمون دز ، فينوا الجدران بالكلس والحجارة . وعلى بعد فرسخ من السور مدوا جدول ماء مثل جوي أر زير » ، وساقوا إليه الماء . والموضع بارد جداً، لا يقدر أن يعيش فيه الحيوان من أول الخريف إلى أواسط الربيع . ولهذا السبب جاء في الخيال أن تلك الجبال الملتوية لا يرقى إليها العقاب، ويعود خائباً من صيده لعلوها، وينطبق عليها قول علي (كرم الله وجهه) : « ينحدر عني السيل ولا يرقى إلى الطير "[٢١].

ولكن سكان القلعة حين رأوا أنهم حوصروا بقوم كالنمل، والتفوا حولهم كالثعابين سبع لفات وقد استسهلوا الوقوف على الصخور الصلبة، واتصلت جموعهم وهم

يرقصون، قد وضعوا كفاً على كف . وحيثما نظروا رأوا أعلاماً ورجالا ، وفي الليل من كثرة النيران ظنوا ما يرون سماء زاخرة بالنجوم.

ومع أن الملك حاذق وواثق من قوته واقتداره فإنه كان يسعى إلى عدم تحميل جيشه المشقة فأرسل وفده إلى ركن الدين يتعلمه بوصوله إليه، وستميله إليه هو وقومه . وقال له : إن كان الوسواس حتى هذه اللحظة يقلقك، وإن كان تفكيرك قاصراً لصغر سنك وغفلتك ، فقدر ما حولك قبل أن تشتد عليك الوطأة : « لا يحطمنكم سليمان وجنوده » بقوم كالنمل . أما إذا أردت أن تبدل حكم الآية : (ادخلوا مساكنكم » بالآية : « اخرجوا من أماكنكم » ، أو أنك أردت الحفاظ على وصية الصباحي: «عليكم بالقلاع) بدلا من: عليكم بالانقلاع عنها ، فاعلم أنك ستضيع في القلعة ، وبسبب سوء تدبيرك وكذبك ستبلغ مرحلة الهلاك ، وتستعيض عن ساحل النجاة بالبلية . فقد ولت المواعيد والوعود التي كنت تسعى بها إلى الابقاء على روحك وقومك . بل إننا بمهمتنا العالية قد نغض الطرف ونعفو عنك على علاتك.

وعاد الجواب من القلعة يقول: الضبع ليس في جحره ، وهو لا يستطيع عمل شيء حتى يأتيه الخبر . يعني: ركن الدين غائب، ولا يمكننا أن تخرج من غير إذنه وإجازته، ومن هذا الجانب شق الشبان بجراح اسنتتهم الرؤوس، ولم يتوقفوا قذف الحجارة والنبال . فكانت نبالهم سهاماً من الأجل، تنزل من ملك الموت على التعساء ، فكانوا يتساقطون كتساقط البرد من مناخل الغمام : عن كانت السهام تمر من خلال الدروع ، كتسرب رياح الصباح من خلال الأزهار » حتى إذا تغطت الشمس خلف ترس الظلال توقفوا عن حربهم . واستمر الحال حتى اليوم الرابع ، فالتهب الحال وتطور ؛ فحين بزغت تباشير الصباحعلا النفير والصياح والزئير ، واحتدمت الحرب من الجانبين . وطارت النبال من بروج القوس السيارة . والأقواس القوية التي صنعها البارعون الختائيون كانت

تقذف مسافة ألفين وخمسمئة خطوة على هذا الكون الترابي ، إذ لم يجدوا علاجاً غيره . فأحرقوا الشياطين الملاحدة بنصال مثل الشهب. كما كانت الحجارة تتقاذف من الحجارة كالمطر ، لكنها لم تجرح مخلوقاً واحداً تحت .

حين شاهد سادة القلعة نتائج الحرب مالوا إلى الصلح . فأرسل ركن الدين رسولا بكلام مبطن بالتورية ؛ إنني ما كنت أعلم بالوصول المبارك فأمرت الجيش بالتوقف عن الحرب ، راغباً في الصلح . وانني قادم إليك اليوم أو غداً ، جاعلا تراب البلاط توتياء العين ، طاوياً التراب المخبأ بالريح ،وأغطي النار به .

وتوقعت الحرب ذلك اليوم ، ولكنه لم ينزل ، ولا في اليوم الثاني . وفي آخر النهار قدم منه رسول يطلب الأمان بأمر ملكي . فأمر بتبشيره بهذه البشرى ، ولبي له ملتمسه ،إليه الأمر الملكي ، وقرى، على ملا من الا الناس ، فسر، أصحاب العقول ومحبو الروح والمال . وحين آل النهار إلى الزوال وتبدل الضياء بالظلال توقعوا نزوله في اليوم الثاني . وحين حل صباح اليوم الثاني بدت علائم نزول ركن الدين ، لكن عددا من الغلاة الغدائيين منعوه ولي يسمحوا له بالنزول على الرغم من وجود المؤيدين لنزوله .

ومرة ثانية أرسل ركن الدين رسولا يعلمه عن : نيتي في المبادرة ، وانشغالي بإعداد الهدية المناسبة ، لكن أكثر الحشم والأتباع غضبوا ومنعوني، وأعلنوا أنهم ، قبل قدومي إليك ، سيتخلصون مني ، لهذا فإن نزولي إليه استحال [٢٢].

٢)الصراع الداخلي

جاءت نهاية قوة الحشاشين تحت الهجوم المزدوج للمغول وسلطان مصر المملوكي الظاهر بيبرس. كان الحشاشون في سوريا – كما هو متوقع –

قد شاركوا غيرهم من المسلمين في التصدى للتهديد المغولي وحاولوا كسب ثقة بيبرس بإرسال السفارات والهدايا إليه، ولم يبد بيبرس في بداية الأمر عداء نحوهم بل إنه عندما منح الهدنة لفرسان الإسبتارية في عام ١٢٦٦ نص فيها على أنهم يجب أن يمتنعوا عما يتلقونه من جزية من مختلف مدن وأقاليم المسلمين بما فيها قلاع الحشاشين التي قدر مصدر مصري أنها كانت تدفع جزية مقدارها ١٢٠٠ دينار و ١٠٠ مود من القمح والشعير سنوياً، وكان الحشاشون من الحكمة بحيث أرسلوا مبعوثين إلى بيبرس يعرضون عليه الجزية التي كانوا يدفعونها من قبل إلى الإفرنج لاستخدامها في الحرب المقدسة.

غير أن بيبرس – الذي كان هدف حياته تحرير الشرق الأدنى الإسلامي من التهديد المزدوج للافرنج المسيحين والمغول الوثنيين – كان لا يمكن أن يتوقع منه التسامح إزاء استمرار وجود جيب مستقل خطر من الملحدين والقتلة في قلب سوريا فنجده منذ وقت مبكر يعود إلى ١٢٦٠ ، كما يقول مؤرخ حياته، يقطع أراضي الحشاشين إلى أحد كبار قواده، وفي عام ١٢٦٥ أمر بجمع الضرائب والرسوم على الهدايا التي تصل إلى الحشاشين من مختلف الأمراء الذين يدفعون إليهم الجزية ومن بينهم كما ذكرت المصادر – الإمبراطور الفونسو وملوك الإفرنج واليمن (المقريزي: كتاب السلوك ولم يكن في استطاعة الحشاشين الذين أضعفوا في سوريا وأثبطت همتهم نتيجة مصير إخوانهم ،الفارسيين أن يبدوا مقاومة فقبلوا هذا الإجراء صاغرين وأصبحوا هم أنفسهم يدفعون الجزية إلى بيبرس وسرعان ما أصبح بيبرس بدلاً من سيد الموت هو الذي يعين رؤساء الحشاشين ويخلعهم كما يريد.

في عام ١٢٧٠ استاء بيبرس من موقف رئيس الحشاشين المسن نجم الدين فخلعه وعين مكانه زوج ابنته سريم الدين مبارك حاكم قلعة العليقة لأنه كان أكثر تجاوباً من حماه. كان الرئيس الجديد يحكم من منصبه كممثل

لبيبرس واستثنيت مصيف من نفوذه وأصبحت تحت حكم بيبرس المباشر، ولكن سريم الدين استطاع بالخديعة أن يضم مصيف إلى أملاكه مرة أخرى فعزله بيبرس وجاء به سجيناً إلى القاهرة حيث مات – ربما مسموماً وأعاد بيبرس تعيين نجم الدين الذي أصبح سلس القياد الآن على أن يحكم بالاشتراك مع ابنه شمس الدين نظير جعل سنوي يدفع إلى بيبرس، ونجد اسميهما محفورين في جامع قدموس Qadmus في حوالي ذلك التاريخ.

في فبراير أو مارس ١٢٧١ اعتقل بيبرس اثنين من الحشاشين على زعم أنهما أرسلا لقتله، وقيل إنهما كانا في سفارة من العليقة إلى بوهمن السادس ملك طرابلس وأنه دبر لهما اغتيال السلطان. وعلى أثر ذلك أمر بيبرس أيضاً باعتقال شمس الدين واتهمه بالتخابر مع الفرنج ولكنه أطلق سراحه فيما بعد عندما حضر أبوه نجم الدين وأقسم على براءته، كما أطلق سراح الشخصين اللذين انهما بتدبير القتل، ووافق الزعيمان الإسماعيليان تحت الضغط على تسليم قلاعهما والبقاء في بلاط بيبرس، وسار نجم الدين في صحبة بيبرس حيث مات في القاهرة في أوائل عام ١٢٧٤ ، وسمح لشمس الدين بالذهاب إلى كهف التسوية شئونها، ومرة أخرى بدأ شمس الدين ينظم المقاومة هناك.

ولكن بلا جدوى، ففي مايو – أو يونيو – ١٢٧١ استولى فواد بيبرس على قلعتي «العليقة و الرصافة وفي أكتوبر ١٢٧١ أقدم شمس الدين وقد تأكد من يأس موقفه على الاستسلام لبيبرس، واستقبله بيبرس في أول الأمر استقبالا حسناً ثم عندما علم فيما بعد بمؤامرة لاغتيال بعض أمرائه أمر بيبرس بترحيل شمس الدين ومجموعته إلى مصر واستمر حصار القلاع فسقطت الخوابي في العام نفسه واحتلت باقي القلاع في عام ١٢٧٣ .

بعد أن استسلم الحشاشون لبيبرس أصبحت خدماتهم الماهرة تحت تصرفه لفترة قصيرة من الزمن، فمنذ وقت مبكر يعود إلى أبريل ١٢٧١ ذكر أن بيبرس كان يهدد كونت طرابلس بالاغتيال، كما أن محاولة اغتيال الأمير إدوارد الإنجليزي في عام ١٢٧٢ وربما أيضاً اغتيال فيليب أوف مونتفورت حاكم صور في ١٢٧٠ كانتا بتدبير بيبرس، وقد تحدث مؤرخون متأخرون فيما بعد عن استخدام بعض سلاطنة المماليك للحشاشين للتخلص من منافسيهم المتعبين، بل ويعطى الرحالة المغربي ابن بطوطة – الذي عاش في القرن الرابع عشر – وصفا للتدابير التي كانت تتخذ في مثل هذه الحالات ومن المحتمل أن تكون مثل هذه القصص ناشئة عن الأساطير والشكوك وليس لها من الدلالة أكثر مما كان للحكايات التي تروى في الغرب عن جرائم اغتيال الأمراء أوربا نظير أجر يتقاضاه شيخ الجبل وبعد القرن الثالث عشر لم تعد هناك اغتيالات مؤكدة يقوم بها حشاشون سوريون لحساب الفرقة، ومنذ ذلك الحين ركدت الإسماعيلية كجماعة ملحدة صغيرة في فارس وسوريا، ولم تعد لها أهمية سياسية ما، وفي القرن الرابع عشر حدث انشقاق في خط الإمامية النزارية وأصبح كل من الإسماعيليين السوريين والفارسيين يتبعون زعماء مختلفين، ومنذ ذلك الحين توقفت الاتصالات بين الفريقين[٢٣]

وفي القرن السادس عشر بعد الغزو العثماني لسوريا أجريت أولى عمليات المسح للأراضي والأهالي لحساب السادة الجدد، وسجلت فيها منطقة قلعة الدعوة باعتبارها تحوى عدة قرى غربي حماة بما فيها بعض المراكز القديمة الشهيرة مثل قدموس والكهف يسكنها أتباع فرقة خاصة لا تميزهم سوى حقيقة أنهم يدفعون ضريبة خاصة، ثم لم يعودوا يظهرون في صفحات التاريخ حتى أوائل القرن التاسع عشر عندما عرف عنهم أنهم في نزاع دائم مع زعمائهم وجيرانهم ومع بعضهم البعض ومنذ منتصف القرن استقروا كجماعة زراعية

مسالمة مركزهم السلامية وهي مستوطنة جديدة اكتسبوها بجهدهم من الصحراء، ويبلغ عددهم في الوقت الحاضر حوالي ٥٠ ألف شخص بعضهم وليس كلهم يدينون بالولاء لأغاخان كإمام لهم.(٢٤)

الخاتمة

سقوط دولة الحشاشين كانت نتيجة لتضافر مجموعة من العوامل الداخلية والخارجية. وقد كان لهذا السقوط آثار بعيدة المدى على المنطقة، وأدى إلى تغييرات جوهرية في التوازنات السياسية والقوى.

والعمق العقائدي الاسماعيلي لهم ونشوء القادة وتحصنهم في قلاعهم وغطرستهم لقد نجح الحشاشون في تأسيس دولة داخل الدولة، مستغلين الظروف المضطربة في العالم الإسلامي خلال العصور الوسطى، وخاصة في ظل الصراعات بين الإمبراطوريات الكبرى مثل السلاجقة والفاطميين.

أسباب ظهور الحشاشين تركزت في الرغبة في مقاومة السلطات القائمة ونشر أفكارهم الدينية والسياسية، مستخدمين أساليب غير تقليدية مثل الاغتيالات لتحقيق أهدافهم. كما أن العزلة الجغرافية لمناطق مثل قلعة ألموت ساعدتهم على بناء قوة منيعة وصعبة الاختراق.

عوامل استمرارهم كانت مرتبطة بقيادة كاريزمية مثل حسن الصباح، الذي استطاع أن يخلق ولاءً مطلقًا بين أتباعه، بالإضافة إلى تنظيمهم الدقيق واستغلالهم للظروف المحيطة بذكاء. ومع ذلك، فإن انهيارهم في النهاية كان نتيجة لتغير الظروف السياسية والعسكرية، خاصة مع صعود قوى جديدة مثل المغول الذين استطاعوا القضاء على معاقلهم.

من خلال هذا البحث، يتضح أن دراسة الحشاشين ليست مجرد استعراض لأحداث تاريخية، بل هي أيضًا فهم لتفاعل العوامل المختلفة التي يمكن أن

تؤدي إلى ظهور حركات مماثلة في أي عصر. كما تبرز أهمية التحليل الشامل للظروف المحيطة بأي ظاهرة تاريخية لفهمها بشكل أعمق.

الهوامش

[١] احمد عبد الحميد :الحشاشين ص٢.

[٢] دراسات في الفرق والمذاهب القديمه المعاصرة،عبدالله الأمين، الناشر :دار الحقيقة،بيروت،الطبعة الثانية ١٩٩١م، ص١٤٦.

[٣] خرافات الحشاشين ولساطير الاسماعيلين، للدكتور فرهاد دفتري، ترجمة: سيف الدين القصير ،الناشر :دارالمدى، دمشق ١٩٩٦م،ص٦٨-٦٩.

[٤] دولة الإسماعيلية في ايران،بحث في تطور الدعوة الاسماعياية الى قيام الدولة،محمد سعيد جمال الدين ترجمة عطا مطلك الجويني،الناشر :الدار الثقافيةالقاهرة،١٩٩٨م،ص٩٥.

[٥] الاسماعيليون تاريخهم وعقائدهم، فرهاد دفري ص١٧٠

[٦] خرافات الحشاشين واساطير الاسماعيليين،فرهاد دفري،ص٢١

[٧] خرافات الحشاشين واساطير الاسماعيليين،فرهاد دفري،ص٢٩

[٨] **الحشاشون، برنارد لويس ص٧٧-٧٨**

[٩] فرهاد دفتري، معجم التاريخ الإسماعيلي ،ترجمة سيف الدين قصير ص٥٣-٥٤

[١٠] فرهاد دفتري، معجم التاريخ الإسماعيلي ،ترجمة سيف الدين قصير ص٧٠

[١١] فرهاد دفتري، معجم التاريخ الإسماعيلي ،ترجمة سيف الدين قصير ص١٠٢-١٠٣

[١٢] فرهاد دفتري، معجم التاريخ الإسماعيلي ،ترجمة سيف الدين قصير ص١٢٠

[١٣] ابن الاثير ،الكامل في التاريخ،ج٨ ص٦٢١

[١٤] لسترنج، كي بلدان الخلافة الشرقية، ترجمة بشير فرنسيس، بغداد، ١٩٥٤، ص ٢٥٦.

[١٥] الهمداني، جامع التواريخ، ج ١، ص ٢٥٥.

[١٦] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٨، ص ٤٥٢.

[١٧] ابن خلدون ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ج١، ص ١٢٢

[١٨] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٨، ص ٤٥٢.

١٩ ١)الحشاشون برنارد لويس ،تعريب محمد العزب موسى ص١٤٥-١٤٦

[٢٠] تاريخ فاتح العالم جهانكشاي، عطا مالك الجويني،المجلد الثاني ،ص٢٥٤-٢٥٣-٢٥٦

[٢١] من خطبته الشقشقية» المشهورة (شرح نهج البلاغة لابن أبي حديد: ١/٥٠).

[٢٢] تاريخ فاتح العالم جهانكشاي، عطا مالك الجويني،المجلد الثاني ،ص٢٥٧-٢٦١-٢٦٢

[٢٣] برناردلويس، الحشاشون،ص١٧٧-١٧٨

[٢٤] برناردلويس،الحشاشون،ص١٧٩

المصادر والمراجع

١. ابن ابي الحديد المعتزلي ، شرح نهج البلاغة من خطبته الشقشقية،اصدار مؤسسة علوم نهج البلاغة في العتبة الحسينية ،الطبعة الأولى ٢٠١٦م

٢. ابن الاثير، الكامل في التاريخ،المجلد الثامن، دار الكتب العلمية ،بيروت –لبنان ،الطبعة الأولى ١٩٨٧م.

٣. ابن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر،طبعة مصححة اعتنى بها أبو صهيب الكرمي بيت الأفكار الدولية.

٤. احمد عبدالحميد، الحشاشين احداث وشخصيات كما ذكرتهم كتب التاريخ،الإسكندرية،تاريخ النشر٢٠١٤.

٥. -برنارد لويس، الحشاشون فرقة ثورية في تاريخ الإسلام ،تعريب محمد العزب موسى،الطبعة:الثانية٢٠٠٦،الناشر مكتبة مدبولي-٦ميدان طلعت حرب-القاهرة.

٦. رشيدالدين فضل الله الهمداني، جامع التواريخ، ترجمة الدكتور فؤاد عبدالمعصي الصياد أستاذ جامعة عين الشمس وجامعة قطر،دار النهضة العربية للطباعة والنشر ،ببروت .

٧. عبدالله الأمين، دراسات في الفرق والمذاهب القديمه المعاصرة، الناشر:دار الحقيقة،بيروت،الطبعة الثانية ١٩٩١م.

٨. عطا مالك الجويني، تاريخ فاتح العالم جهانكشاي، المجلد الأول ،الطبعة الأولى ١٩٨٥م،دار الملاح للطباعة والنشر

٩. فرهاد دفتري، الاسماعليون تاريخهم وعقائدهم،ترجمة:سيف الدين القصير،الطبعة العربية دار الساقي ،الطبعة الأولى ٢٠١٢ –الطبعة الثانية ٢٠١٤،بيروت لبنان.

١٠. فرهاد دفتري، خرافات الحشاشين واساطير الاسماعيليين،ترجمة سيف الدين القصير،الناشر:دار المدى للثقافة والنشر،تاريخ الطبع:١٩٩٦،سوريا دمشق.
١١. -فرهاد دفتري، معجم التاريخ الإسماعيلي،ترجمة سيف الدين القصير،الطبعة الأولى ٢٠١٦،دار الساقي،بناية النور شارع العويني فردان بيروت.
١٢. لسترنج كي، بلدان الخلافة الشرقية،ترجمة بشير فرنسيس و كوركيس عواد ،مطبعة الرابطة-بغداد ١٩٥٤م
١٣. محمد سعيد جمال الدين، دولة الإسماعيلية في ايران، بحث في تطور الدعوة الإسماعيلية الى قيام الدولة،الناشر:الدار الثقافية للنشر،المطبعة:المطبعة العصرية-بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٩م.